

الترجمة

مناظرة سورل - ديريدا

التفكير أو اللغة في مختلف وضعياتها

د . مصطفى حنفي

أستاذ الفلسفة - كلية الآداب

تطوان - المغرب

(٦)

تحيل لفظة تفكير على تيار نافذ في النقد الأدبي الأمريكي . وليست النظرية المرتبطة به من إبداع نقاد الأدب ، بل تعود لأستاذ الفلسفة الفرنسي جاك ديريدا الذي يدين بكثير من أفكاره لكل من نيتشه وهايدغر . وإذا كان " كالر CULLER " يعتبر نفسه تلميذا لديريدا ، فقد جعل هدفه الأول عرض فلسفة أستاذه وإبراز كيفية تناولها " لأهم أسئلة النظرية الأدبية " (ص ١٢) .

فعلام ينهض التفكير على وجه التدقيق ؟ وما سر تأثيره في النقد الأدبي الأمريكي إلى هذا الحد ولما يزال مجهولا لدى قطاع واسع من الفلاسفة الأمريكيين ؟ .

إنني على يقين أنه لو طلبنا من أغلبية ممارسي التفكير إعطاءه تعريفا ما ، فهم لن يعجزوا عن تقديم تعريف واحد ، وإنما سيعتبرون هذا الطلب تجليا من تجليات " المركزية العقلية " التي يطمح التفكير بالضبط إلى تفكيكها . إن المقصود عندهم بالمركزية العقلية الإهتمام بالحقيقة والعقلية والمنطق وما يميز التقليد

الفلسفى الغربى عامة . ويبدو لى مع ذلك أن الوسيلة المثلى التى ستسفعنا فى تقديم تعريف للتفكيك حتى نشرق فى العمل ، ترتكز على اعتباره ، بالإستناد فى ذلك إلى عدد كبير من ممارسيه ، مجموعة من مناهج مقارنة النصوص ومجموعة من الإستراتيجيات النصية الموجهة فى كثير من جوانبها إلى نفس منازع التمرکز العقلى التى هى منازعنا نحن كذلك . إن إحدى مزايا كتاب كالر CULLER الكثيرة أنها تقوم على جرد لهذه الإستراتيجيات وتخصيص لقصدياتها المشتركة كذلك .

إن تفكيك خطاب مايقوم على إبراز كيف ينسف هذا الخطاب الفلسفة التى ينشدها ، أو تراتبية التعارضات التى يستدعيها ، محددا فى النص العمليات البلاغية التى تضى على محتواه أساسا مفترضا أو مفهومه المفتاح أو مقدماته المنطقية " (ص ٨٨) .

توجد عدة استراتيجيات من هذا القبيل ، ثلاث من بينها - على الأقل - تبرز بوضوح خاص . أولاها وأهمها عند التفكيكى ترتكز على الرصد المتربص لكل التعارضات الثنائية التقليدية ، التى تشكل جزءا من التاريخ الفكرى الغربى . وهو على سبيل المثال : كلام / كتابة ، مذكر / مؤنث ، حقيقة / خيال ، حرفى / مجازى ، مدلول / دال ، عمق / سطح . ففى تعارضات من هذا النوع ، يتمتع الطرف الأول الواقع على اليمين - حسب التفكيكى - بمرتبة عليا عن الطرف الواقع على اليسار . فهذا الأخير لا يعدو أن يكون " مجرد تعقيد للطرف الأول أو نفى أو تجل له أو تشويش عليه (ص ٩٣) . وهذه التعارضات المترتبة ، يفترض تموقعها فى قلب التمرکز العقلى وفى قلب اهتمامه بالعقلية والمنطق والبحث عن الحقيقة .

إن الهدف الذى يضعه التفكيكى نصب عينيه يكمن فى نفس هذه الثنائيات وبذلك ينسف التمرکز العقلى ، وعليه يجب القيام بعملية قلب لهذه التراتبية فورا ، فهذا المسعى الذى يقوم على إبراز أن الطرف الواقع على اليسار هو السابق على الحقيقة وأن ذلك الواقع على اليمين مجرد حالة خاصة ، أو بتعبير آخر ، إن الطرف على اليسار هو شرط إمكان ذلك الذى يقع يمينا . فهذا النقل يفضى إلى نتائج عجيبة للغاية ، فبمقتضاها لا يبرز الكلام إلا شكلا من اشكال الكتابة والفهم ، إلا شكلا من اشكال الإبهام . وما نعتبره لغة مشبعة بالمعنى يصبح فى الإمكان

اختراله إلى لعب حر من الدوال ، بل إلى سيرورة غير متناهية تتنامى بفضلها النصوص فيما بينها . لكن هذه الحيلة لا تمثل غير المظهر الأول لإجراء يتم فى لحظتين (" إشارة مزدوجة ، علم مزدوج ، كتابة مزدوجة " جاك ديريدا . هوامش ص ٣٩٢) وفى اللحظة الثانية يتعلق الأمر بالإنهاء إلى " نقل عام للنسق " (ص ٨٦) . إن الهدف يكمن إذن فى إعادة موضعه كل النسق القيمي الذى يفصح عن نفسه فى التعارض التقليدى أو تفكيكه أو إحداث نقل فيه ، فهذا بدوره يؤدى إلى نتائج عجيبة للغاية ، لأنه سيبدو من بعد أن كلا من الكلام والكتابة شكل من أشكال " الكتابة البدئية Archi-écriture " وأن " كلا من الرجل والمرأة مجرد متغيرين للمرأة البدئية Archi-femme " (ص ١٧١) ... الخ . إن " الكتابة البدئية " تبطل المفهوم المبتذل للكتابة " من خلال تزويدنا بمفهوم جديد سيتضمن من الآن فصاعدا الكلام والكتابة معا . أما بالنسبة إلى معرفة ما إذا كان المفهوم المبتذل للمرأة موجودا أم لا ، والذى يستدعى بدوره القيام بإبطال من قبيل ماسبق ، فهذا مالم ينجز صراحة . غير أنه يمكننا الإستنتاج بأن " كالر " مقتنع بذلك .

ترتكز الإستراتيجية الثانية على فحص الكلمات المفاتيح فى النص ، والتى تسمح له بالإنفلات ، على وجه التقريب ، من اللعبة . فبعضها " ينتمى إلى التعارضات الجوهرية فى مضمون النص ، غير أنها تشغل بكيفيات تجعلها تتسلف أيضا هذه التعارضات " (ص ٢١٣) . والأمثلة التى يوردها " كالر " فى هذا الصدد هى Parergon عند كانط و Pharmakon (الترياق) عند أفلاطون و (المكمل) Supplement عند روسو و hymen عند ملارمى .

هذه الألفاظ تمثل العبارات التى عندها تصبح المجهودات الموجودة للدفاع عن استنتاجات ذات نزوع نحو التمرکز العقلى ، أو لفرض هذا النزوع ذاته . مجهودات تستشعر فى نص ما بأنها لحظات قائمة وذات إزعاج غريب من شأن طبيعتها أن تنتج تعليقا مثمرا " (ص ٢١٣) .

المثال الذى يعرضه لنا الإكتشاف الديرى لعبارة " المكمل " عند روسو ، وقد استعمل لاستحضار التجربة الجنسية لهذا الأخير ونظريته عن الكتابة فى آن واحد . فبقدر ما الكتابة - فى اقتراح روسو - مكمل (للكلام) بقدر ما العادة السرية مكمل (للجنس) . من ذلك يخلص ديريدا إلى القول : " فى سلسلة

المكملات كان من العسير عزل الكتابة عن الإستملاء " علم الكتابة " (ص ٢٣٥) .
أما الإستراتيجية الثالثة فتقوم على إيلاء اهتمام ثابت ببعض المظاهر
الهامشية فى النص كنوع الإستعارات التى تظهر فيه ، لأن مظاهر من هذا القبيل "
تشكل قرائن لما هو مهم حقا " (ص ١٤٦) .

(٢)

إذا توقفنا عند العرض الذى يقدمه " كالر " ، فإنه يجب القول إن التفكير لم
يبدأ بوجه خاص بداية مشجعة ، لكن ومن خلال نتائجه نحكم بأنه منهج للتحليل
النصى . لنتلفت إذن إلى بعض الأمثلة التى يبين لنا من خلالها كل من " كالر "
وديريدا أنها الإستغلال المفترض بالضبط (للتفكير) . فالمثال الأنموذج الذى يقترحه
كالر ، ليوضح كيف إن العمليات والتخصيصات المختلفة للتفكير " يمكن أن تتلاقى
عند التطبيق " (ص ٨٦) - هو ذلك المثال الذى يقدمه بوصفه تفكيكا نيتشيا (نسبة
إلى نيتشه) للسببية . يقول بهذا الصدد : لنفترض أن شخصا أحس بألم ، وعن
طريق الإستنتاج سيشرع فى البحث عن سبب . ولنفترض أنه لمح دبوسا ومن ثم
سيستنتج من ذلك وجود رابطة ستقوده إلى قلب ترتيب الإدراك ، أو الظاهرة
المائلة أمامه ، أى ألم ... دبوس ، لصالح التعاقب السببى دبوس ... ألم . فالجزء
البرائى من العالم الذى يمثلته وعينا يعقب الأثر الذى يخلفه فينا ، ويتم إسقاطه لا
حقا على إنه سببه " (ص ٨٦) .

لحد الساعة ليس لدينا انطباع بتعرض أى شئ للتفكير ، ولو أن كالر يخالفنا
الرأى - لكن إذا رغبتا فى أخذ فكرة عن أسلوب البرهنة التفكيكية ، فلن يكون من
غير المجدى المزيد من الإستفاضة فيه :

لنكن على قدر أكبر من الوضوح فيما يستلزمه هذا المثال على بساطته
(...) إتينا نزع كون تجربة الألم هى السبب الذى على إثره نكتشف الدبوس ،
وعليه يكون السبب المنتج لسبب ما ، ولكى نفكك السببية علينا العمل بمفهوم
السبب وتطبيقه على التسبب فى حد ذاته " (ص ٨٧) .

. إنطلاقاً من هنا يتم " التأكيد على الحاجة إلى السبب . ودحض كل تسويغ صارم يفضى إليه " (ص ٨٨) . والأكثر من ذلك أيضاً قوله :

يقاب التفكير التعارض المتراتب للصيغة السببية . فالتمييز بين السبب والأثر يجعل من السبب أصلاً سابقاً منطقياً وزمناً . بينما يكون الأثر تابعا وثانويا ورهينا بالسبب ، ودونما تمحيص للدواعى التى تقوم لصالح هذه التراتبية أو لصالح إستلزاماتها ، فإننا نؤكد من خلال اشتغالنا فى قلب التعارض سبب / أثر ، أن التفكير يعكس التراتب عن طريق انتاج توزيع جديد الخاصيات . وإذا كان الأثر هو السبب الذى يفضلهُ يصبح السبب سببا ، فإنه حرى بنا إذن أن نعتبر الأثر أصلاً وليس السبب وبيانا أن البرهان الذى يضمن للسبب موقعه يمكن استعماله لصالح الأثر ، فإننا بذلك نكون قد استوفينا تفكيكا للعملية البلاغية التى تنبثق عنها التراتبية وأحدثنا فيها نقلا دالا " (ص ٨٨) .

وإذا كنت لأزال بعيدا عن البرهنة على سلطة التفكير فسأحاول أن أبين بالأحرى - من خلال المناقشة التى يقترحها كالير للمثال السابق وجود نسيج من الغموض . وإليك بعض من أخطائه البارزة جدا :

١ - فى المثال السابق لوجود بتاتا لأى شئ من شأنه أن يدعم زعمه بأن " الأثر هو السبب المنتج لسبب " أو زعمه بأن " الأثر هو السبب الذى يفضلهُ يصبح السبب سببا " وبالتالي ، فإن تجربة الألم هى السبب الذى يقودنا إلى البحث عن سببها ، فهى ، إذن ، وبطريقة غير مباشرة ، سبب اكتشاف السبب ومن ثم ، فإن الفكرة التى يحدثها السبب توجد بالضبط فى تعارض تقى مايوضحه فى الواقع هذا المثال .

٢ - إن عبارة " أصل " استعملت بمعنيين متمايزين ، فإذا كان "الأصل " يعنى الأصل السببى ، فإن الدبوس سيكون هو " الأصل " السببى للأثر . أما إذا كان يعنى الأصل الإبتسمى ، أى مايسمح لنا باكتشافه ، فستكون تجربة الألم إذن هى أصل اكتشافنا لسببه . وهذا من شأنه أن يقودنا رأسا إلى ارتكاب لبس عوض أن يدفعنا إلى استنتاج وجود معنى أحدى للفظه " أصل " لحد القول إن " الأثر " وليس السبب هو مايجب اعتباره أصلا " .

٣ - لوجود لأية ترابطية منطقية بين السبب والأثر ، فهذان المفهومان متضايفان وكل منهما يتعرف بتعريف الآخر . فعلى سببيل المثال الـ " O.E.D " يعرف السبب بأنه " ماينتج أثرا " و " الأثر " بأنه " مايملك سببا " أو ماهو " منتوج سبب ما " .

٤ - على النقيض مما يزعمه كالر ، لاشئ فى المثال الذى اختاره من شأنه أن يثبت بأن التسبب يعوزه " تسويغا صارما " أو أن " نقلا دالا " قد حصل . فأراؤنا المسبقة عن الحس المشترك والمتعلقة بمفهوم السببية ، تستحق - بالتأكيد - معالجة ونقدا دقيقين . ومع ذلك لانجد فى نقاش كالر مايلزمنا بإجراء أى تقييد فى تصوراتنا الساذجة عن السببية .

بالتأكيد ، فمن الإجحاف إدانة التفكير على أساس هذا المثال الوحيد ولو كان يمثل فى نظر كالر أنموذج قوة يمنحه شخصا للمنهج التفكيرى . لنلنفت الآن إلى مثال للتفكير الذى يستحضره ديريدا باستمرار . ويتعلق الأمر بتفكير التعارض القائم بين " الكلام والكتابة " بهدف إثبات أسبقية الكتابة - فى الحقيقة - على الكلام ، وأن هذا الأخير - فى الحقيقة - شكل من أشكال الكتابة . فمن أول وهلة تبدو هذه المسألة ثانوية فلسفيا ، ولو فى ميدان كميدان فلسفة اللغة ، إن أغلبية الكتاب لا يولون أدنى اهتمام بالإختلافات والتشابهات الموجودة بين الكلام والكتابة . أما " جاك ديريدا " فيوليها أهمية حاسمة . فهو يعتقد بأن " الإمتياز " الذى تحظى به اللغة المتكلمة ، يكون على حساب الكتابة ، وأن " قمع " الكتابة ليس إلا " عملية أساسية ومحصلة حقبة زمنية برمتها " تلك التى بدأت مع " أفلاطون " وتأبدت من خلال التمرکز العقلى للفلسفة المعاصرة ، باختصار ، إن هذا التمرکز يستند إلى التمرکز الصوتى . وإليك بهذه الفقرة النموذجية التى سأستشهد بها مستفيضة كى أظهر بجلاء الطريقة التى يعبر بها ديريدا ذاته :

" إن امتياز الصوت لايتعلق باختيار كان فى الوسع تجاوزه ، فهو استجابة للحظة اقتصادية (لنقل لحظة " حياة " أو " تاريخ " أو لحظة الـ " كائن فى علاقته بذاته ") . إن نسق " الفهم - الكلام " عبر المادة الصوتية والذى يتمظهر بوصفه دالا غير براتى وغير مادى ، ومن ثم غير اختبارى أو غير حادث ، كان لابد أن يهيمن طوال حقبة من تاريخ العالم ، بل وأن يحدث - رأسا - فكرة العالم

نفسها وفكرة أصل العالم من خلال الاختلاف بين المادى ونقيضه وبين اليرانى والجوانى وبين المثالية ونقيضها وبين العام والخاص وبين المتعالى والتجريبى ... " إلخ (علم الكتابة ص ١٧ عن كالر ص ١٠٧) .

من أول وهلة نقول : ذاك هو الإثبات الذى يبدو شاذا. فالتمييز بين الكلام والكتابة لا يمثل أية أهمية خاصة ، لا عند " أفلاطون " ولا عند " أرسطو " ، ولا " طوماس الأكوينى " ولا " ديكارت " ولا عند " اسبينوزا " ولا " هيوم " ، وغيرهم . فـ " أفلاطون " وحده ضمن قائمة الفلاسفة السابقين ، من يقيم عليه " ديريدا " الحجة بأنه قد أولى الكلام امتيازاً ما . فلقد أعلن فى كتابه فيدرا " Le Phedre بعض الملاحظات حول استحالة استنطاق النصوص المكتوبة . أجل إن أفلاطون يؤكد حقا إمكان مسائلة أشخاص متكلمين واستحالة القيام بنفس الإجراء حين يتعلق الأمر بنصوص مكتوبة . لكن علينا أن نؤكد كون جميع هؤلاء الفلاسفة يتصدون بالمعالجة لقضايا من قبيل العام والخاص ، المتعالى والتجريبى وغيرها . تلك القضايا التى لا تنشأ عن التمييز بين المنطوق والمكتوب ، كما لا ترتبط بالوضع " الإعتبارى " للمنطوق . فـ " هورسل " باعتباره من بين أولئك الفلاسفة الذين يستهدفهم " ديريدا " ، يمثل حالة نادرة ، إن لم تكن الوحيدة . والذى تكتسب عنده الدلالة فى اللغة المنطوقة حضوراً أرقى مما هو عليه الشأن فى النصوص المكتوبة. فبالعودة إلى تأويل ديريدا لهورسل وللأسف . وتبعاً لذلك تأويله لـ " تاريخ العالم طوال حقبة برمتها " بما فى ذلك الحاضر الراهن ، سيكون من الضروري أن نذ تمثيع الكلام بحظوة وهمية فى مقابل الكتابة .

إذا كان يجب تقدير إثبات ديريدا من حيث قيمته المباشرة فما علينا إلا أن نعترض عليه - فيما يبدو لى - بحجة لا تقل عنه معقولة ، إن لم تفقه . وبإمكاننا على هذا الأساس أن نبين بأنه ، مروراً بالخصائص الكلية Características universalis للبينتر وصولاً إلى " فريجة " وراسل والتطورات التى شهدتها المنطق الرمضى حالياً ، يمكن القول إن العكس بالضبط هو ما حصل . فبما أن الأولوية كانت عندهم للمنطق والعقلنة فإنهم كانوا مدفوعين للإهتمام المسبق باللغة المكتوبة باعتبارها الحامل البدهى للعلاقات المنطقية . وإذا ما تأملنا الفلسفة الحالية نلاحظ بأنه كان علينا أن ننتظر الخمسينات من هذا القرن كى يصدر حكم يستعملها

المنطق الرياضى . لهذا لايجب النظر إلى الإثباتات الراجعة التى يصدرها ديريدا عن " تاريخ العالم طوال حقبة كاملة من الزمن " وكأنها تعبير عن رؤية قيامية وإنما مجرد محصلة لنقص فى معلوماته دون قيد ولا شرط .

ماهو مدهش وغير محتمل إطلاقا ، فى إثباتات ديريدا ، يسمح مع ذلك بوجود برهان أكثر عمقا يجدر الالتفات نحوه . أما فيما يخص المحاولة الرامية إلى توضيح كون الكتابة فى الحقيقة سابقة وأن الكلام شكل من اشكال الكتابة ، فتقتضى استراتيجية ديريدا تعيين السمات التى يستمدها المفهوم الكلاسيكى للكتابة إلى الكتابة لكى نبين بعد ذلك أن هذه الخواص تنتهى بنفس القدر إلى الكلام . وهكذا فكما تتحمل الألفاظ المكتوبة التكرار Repetition تتحمله كذلك الألفاظ المنطوقة . وبعبارات ديريدا المفضلة فإنها " قابلة للتكرار " iterables وتشارك فى مواضع إمكانية فهمها فهما غير مناسب وإمكان استدعائها على نحو أساسى لنسق من الاختلافات . وتلعب هذه الخاصية الأخيرة دورا حاسما فى الإستدلال . ذلك أن أفكار ديريدا تستلهم عمل اللغوى السويسرى " فرناند دوسوسير ، الذى كتب مايلي : " إن الفونيمات ، عكس مايمكننا أن نعتقد ، لا تتميز بصفاتها الموجبة ، بل بكونها متميزة ببساطة . فالفونيمات تتحد فوق كل شئ باعتبارها كيانات تعارضية نسبية وسالبة " سوسير (ص ١٢٠) . وعليه فإن وظيفة الفونيم (t) مثلا فى كلمة table لا ترتبط بصفاته السمعية الخاصة به ، وإنما بانتمائه إلى طبقة مخالفة لطبقة الصفات السمعية لعناصر أخرى تسمح لنا بتمييز table عن sable و bol عن sol .. الخ . لذا فإن اللغة تستند إلى نسق من العناصر اشتغالها الجوهرى مرتبط بالاختلافات الموجودة بين عناصر النسق . إن الأمر يتعلق بنقطة هامة ، لكن لنرى ماذا سيصنع منها ديريدا :

إن لعبة الاختلافات تقتضى بالفعل تركيبات وإحالات يتمتع بمقتضاها على أى عنصر بسيط ، فى أية لحظة وبأى معنى ، أن يحضر لذاته ، وأن يحيل إلى ذاتة . فسواء فى نظام الخطاب المنطوق أو المكتوب لا يمكن لأى عنصر آخر أن يشتغل بوصفه دليلا signe دون الإحالة إلى عنصر آخر بدوره لإحضر ببساطة فهذا الترابط يقضى بأن كل " عنصر " سواء كان فونيميا أم رسما ، يتشكل من خلال الأثر الذى يحمله من عناصر أخرى فى السلسلة أو فى النسق .

إن هذا الترابط وهذا النسيج ليسا شيئا آخر غير النص الذى هو نتاج تحول نص آخر . فلا شئ يوجد البتة فى العناصر بذاتها وفى النسق حاضرا أو غائبا ببساطة . ومن جهة أخرى لاتوجد سوى الاختلافات وآثار الآثار (مواقف . ص ٣٨) .

يتميز محتوى هذه الفقرة عن تصورات سوسير بتحوير خطير . فالإدعاء المبرر ، الذى بمقتضاه لاتشتغل عناصر اللغة بما هى كذلك ، إلا بناء على ما يوجد بينها من اختلافات ، قد تم استبداله بادعاء مغلوط يقضى بأن هذه العناصر ذاتها " تكمن فى " آثار عناصر أخرى (كالر) أو " مكونة من " آثار عناصر أخرى غيرها (ديريدا) وأنه حيثما كان لوجود إلا للاختلافات وآثار الاختلافات " .

غير أن الأطروحة الثانية لاتعادل الأولى بل لاتصدر عنها بتاتا لأن طريقة اشتغال العناصر تقوم على العلاقات التى تربطها هذه العناصر فيما بينها ، ومن ثم لايجوز مطلقا استنباط من قبيل " لاشئ لا فى العناصر ولا فى النسق ولا فى أى كان حاضرا أو غائبا ببساطة " أو من قبيل " حيثما كان لوجود سوى للاختلافات وآثار الآثار " .

ففى الحقيقة ، وكما رأينا فى التفكير الذى أجراه كالر على السببية، نلاحظ بأن مايفصح عنه الإستدلال يتموقع على النقيض مما يريد ديريدا أن يفصح عنه : فلنضرب مثلا بالقول التالى " القط على السجاد " إذا كنت قد فهمته كما أفهمه ، فذلك راجع إلى كونى أعرف كيف يمكن أن يدخل فى علاقة مع مجموعة غير متناهية من أقوال أخرى ، من قبيل " الكلب على السجاد " ، " القط على الكنبه " الخ . وإذا كنت أفهم الاختلافات الكائنة بين القولين التالين : " القط على السجاد " و " الكلب على السجاد " كما أفهمهما بالضبط ، فذلك لأن لفظة " قط " حاضرة فى القول الأول وغائبة فى الثانى ، فى حين غابت لفظة كلب فى الأول وحضرت فى الثانى . لذا فإن نسق الاختلافات لايهم فى شئ التمييز بين الحضور والغياب ، بل على عكس من ذلك ، يقوم نسق الاختلاف على نسق من الحضور والغياب ، بل على عكس من ذلك ، يقوم نسق الاختلاف على نسق من الحضور ونسق من الغياب . ومن ثم فإن طمس العناصر لصالح الآثار يشكل أحد مفاتيح الفلسفة الديريدية للغة ، بل مفتاحها الأساسى ، إن لم يكن مفتاح ميتافيزيقا التفكير كليا كما

نستطيع التوضيح لاحقا . لأن الخطوة التالية تركز على زعمه بأن اللغة تختزل في مجموعة ما من " الآثار التواصلية " . وما أن ينجز ديريدا هذه الخطوة حتى يصبح بإمكانه ، دون صعوبة ، إعادة تعريف الكتابة بنفس الطريقة التي يعرف بها كل لغة ، منطوقة كانت أم مكتوبة ، تؤول إلى الكتابة : فـ " الأثر التواصلى هو الإمكان المشترك بين جميع الأنساق الدلالية " (علم الكتابة ص ٤٨) . ومنذئذ ، تصبح الحجة القائمة على أن الكلام كتابة فى الحقيقة - من سهولتها - غارقة فى التفاهة . وبما أنه قد تمت - بادئ ذى بدء - إعادة تحديد الكتابة بشكل يجعلها تشمل المنطوق والمكتوب معا ، سننتقل إلى الفقرة التالية التى تعكس ذلك - بإسهاب على سبيل التوضيح أسلوبا و " مادة " على حد سواء .

إن النزعة الفونولوجية لاتعانى من أى اعتراض ، مادامت التصورات السائدة عن الكلام والكتابة ، تحتفظ بالنسيج الصلب لبرهنتها . تصور شائع ويومى ، وفى تمام وليس من التناقض أن تكون مسكونة بتاريخ قديم ، مسيج بحواجز ، ولو تعذرت رؤيتها فهي مع ذلك من الصرامة بمكان . إننا نريد بالأحرى الإشارة إلى أن الإشتقاق المزعوم من الكتابة مهما كان واقعا وقويا لم يكن ممكنا إلا بشرط وحيد : هو أن اللغة " الأصلية " و " الطبيعة " الخ ماكانت لتوجد وماكانت بكرة ولاغير ممسوسة من لدن الكتابة . وأنها كانت هى ذاتها كتابة . الكتابة البدئية التى نود تعيين ضرورتها ومفهومها الجديد - فسوف لن نستمر فى تنسيبها كذلك إلا كونها تفضى جوهريا إلى المفهوم المبثزل عنها الذى لم يكن ليفرض تاريخيا إلا بطمس الكتابة البدئية . وتتويج الرغبة فى كلام يطرد مغايره وبديله . ويختزل اختلافه . وإذا كنا نلج على تسمية ذلك الإختلاف كتابة ، فلأنه ، وبفعل القمع التاريخى ، ظلت الكتابة ، من حيث موقعها ، منذورة للدلالة عما هو رهيب فى الإختلاف ، بمعنى آخر ، كانت تعنى مايهدد الرغبة فى الكلام الحى . ذاك ما أضربها (بالكتابة) من الداخل منذ البداية . أما الإختلاف ، فنحن نكابه تدريجيا ، لايفكر فيه من غير الأثر . (علم الكتابة ص ٨٢ ، ٨٣) .

لما يستنفذ معالجة الجهاز الخطابى القائم على الآثار والإختلافات - باعتبارهما معرفن للكتابة والنصية - لايبق إلا الإنتقال لتطبيقه بلا اكتراث ، وعلى كل الأشياء . سواء تعلق الأمر بالتجربة أو بتميز الحضور عن الغياب أو

الواقع عن التمثيل . وحينما تعين الكتابة على اساس الاختلافات والآثار ويعان عن وجودها حيثما كان . ينعدم مبرر الإندهاش من أن نكتشف على أنه في الواقع كل شئ ماهو إلا كتابة " ماكان موجودا سوى الكتابة . ومكملات ودلالات استبدالية لم تتمكن من الظهور إلا فى سلسلة من الإحالات التخالفية . بقدر ما سنكتشف بأن ماهو " واقعى " لا يحدث ولا يضاف إلا إذا حمل معنى . وانطلاقا من أثر وباستدعاء مكمل ، الخ (علم الكتابة ص ٢٨٨) يضيف أيضا " لا يوجد ماهو خارج النص " (ص ٢٢٧) .

بالإستجماع الذهني ، لكل ماسبق ذكره ، يمكننا الآن مباشرة تقويم عام للعملية التى بفضلها يصبح تمييز الكلام عن الكتابة قابلا للتفكيك .

١ - إن القراءة الشاذة لتاريخ الفلسفة الغربية ، أجرت على

الفلاسفة وزر ماتعرضت له الكتابة من إدانة شاملة لصالح الكلام المنطوق غير أن هذه الإدانة غير محللة بقراءة حقيقية للنصوص المنسوبة للإعلام المهيمنة على التقليد الفلسفى . إن ديريدا لا يتناول بطريقة دقيقة سوى ثلاثة من كبار هؤلاء الأعلام : أفلاطون وروسو وهوسرل ، يجذبه إليهم ، فى الحقيقة ، اعتقاده الراسخ بأنه ، فى مسألة التمرکز العقلى ، كل شئ يدور حول مسألة الكتابة . فما أن يبدو له من الممكن أن يستشف تحديدا - من خلال الخاصيات المنتمية لمفهوم معاد تعريفه بشكل ملائم - للمسائل التى انشغل الفلاسفة بها ، كانشغالهم بمسألة الحقيقة والواقع ، الخ حتى يعتبر ديريدا نفسه بصدد تفكيك لهذه المفاهيم .

٢ - أن الحجة الداعمة للقول بأن الكلام يعود فى نهاية المطاف إلى الكتابة ، وأن هذه الأخيرة سابقة عليه ، حجة تستند إلى إعادة تعريف ، غير أنه بواسطة مناهج من هذا النوع بوسعنا إثبات أى شئ من قبيل الأغنياء فقراء فى الحقيقة وأن الصدق كذب .. الخ . وعليه ، فإن الفائدة الوحيدة التى يمثلها مجهود من هذا القبيل ، تظل كامنة فى الحوافز الموجهة لإعادة التحديد .

٣ - إن الحوافز الموجهة لإعادة تحديد الكتابة ، تلك التى تهدف إلى تعديل التصور الشائع عنها ، لا تركز على دراسة تجريبية بحثية ، دراسة للتشابهات والاختلافات الموجودة بين الشكلين . فما من حالة تقضى بأن يكون الكلام منطوقا

والكتابة مكتوبة مثلا ، أو حالة نجح بمقتضاها النصوص المكتوبة - بحكم الآثار الخاصة بها - إلى التمتع بديمومة زمنية ، ليست الكلمات المنطوقة أهلا لها . فهذه الحوافز تقوم على تصور خاطئ للصيغة التي تشتغل وفقها الاختلافات . إنه تصور غير برئ بتاتا ، لأنه مرصود لتزويد جهاز الكتابة - كما تم تخصيصها - بقدرة تطبيقية على التجربة والواقع ، قدرة في غاية الشمولية .

أتمنى أن تكون الفقرات المذكورة سابقا ، على قلتها ، كفيلة بتوضيح أسلوب الكتابة الديريرية . فلقد سبق " لمشيل فوكو " أن نعت هذا المسعى " بالظلامية الإرهابية " عند ديريدا . فما كتبه حالك الظلمة لدرجة يستحيل معها التقدير الدقيق لمرتكزات الأطروحة التي ينافح عنها (هنا مبعث " الظلامية ") وحتى إن تعهدناه بالنقد ، فلن يكون رده غير قوله (" إنكم قد أسأتم فهمي إذن أنتم بلداء " ومن هنا مبعث الإرهابية) .

(٣)

فماذا نحن منتظرون من التفكير ؟ يمكن القول ، بطريقة تخصيصية ، إن التفكير لا يسعى إلى إثبات ولا إلى فروض . كما أن طموحه ليس هو الوصول إلى الحقيقة^(٢) . لأن هذه المفاهيم وأقاربها لصيقة بالإرباط بالتمركز العقلي الذي يسعى إلى تجاوزه ، بل تطلعه موجه إلى نسف ومساءلة وتجاوز وانتهاك النواطئات وتعريتها ، فما يسدد إليه لا يقف عند حدود مجموعة من النصوص الفلسفية والأدبية ، وإنما يتعداها إلى التصور الغربي للعقلنة ولمجموع المسبقات المضمنة في تصوراتنا عن الكلام وعن العلم وعن المعنى المشترك : كالتمييز - مثلا - بين الواقع والظاهر ، الحقيقة والخيال .

حسب كالر إن " مفعول التحاليل التفكيرية - كما يشهد به العديد من القراء - يمكن فيما يمنحه من معرفة ومن مشاعر السيطرة " (ص ٢٢٥)

فما يزعج في هذا الإثبات ، هو أنه يفرض إمتلاكنا الوسيلة التي بواسطتها نستطيع التمييز بين مشاعر السيطرة المبررة والتي بالإمكان أن تكون مشاعرنا الخالصة . وبين ما هو مجرد حماس تحدثه حالات كثيرة من الهذر المغرور . إن

الأمثلة التى يضعها بين أيدينا كل من كالير وديريدا ليست بوجه خاص مقنعة ،
ففى كتاب كالير أمثلة من تلك المعارف وذلك التحكم الذى يمنحانهما التفكير ،
أمثلة من قبيل : الكلام شكل من اشكال الكتابة . والحضور نوع خاص من الغياب
(ص ١٠٦) والهامش مركزى فى الواقع (ص ٤٠) والحرفى استعارى (ص
١٤٨) . والحقيقة ضرب من الخيال (ص ١٨١) . والقراءة شكل لقراءة مغلوطة (ص
١٧٦) والفهم شكل من اللبس (ص ١٧١) . فبعض القراء سيتولد لديهم -
ربما - انطباع بأن ما يهيمن أكثر على قائمة من هذا القبيل ، هو الرتابة وليس
الإحساس بالسيطرة والتحكم . حيث يهدف النثر فى الكتابة التفكيرية باستمرار إلى
إحداث تأثير على مستوى العمق لأنه (النثر) مؤسس على ملاحقة المفارقة من
قبيل " الحقائق خيالات تداعت للنسيان حقيقتها " (ص ١٨١) .

يوجد ماهو أغرب من ذلك ، إذ يسعد المشرحين ، من غير شك ، أن يعلموا
بأن " مانميل لا يعتبره الفضاءات والأماكن الأكثر حميمية فى أجسادنا كالفرج
والمعدة والمعى كلها يختزل فعلا لتصبح محض جيوب مدمجة خارجيا " (ص
١٩٨) . أما المنطقة فلا ريب سينشرون إذا علموا بأن التمرکز العقلى هو نفسه
التمرکز القضيبى . ذلك لأن لفظة التمرکز القضيبى - حسب ديريدا - تتضمن
إثباتا لهذا التورط حيث يقول " يتعلق الأمر بالنسق الوحيد ذاته أى انتصاب العقل
الأبوى وبالقضيب باعتباره " دالا ذا امتياز " (ديريدا ، ذكره كالر ص ١٧٢) .

(٤)

لقد تحدثت حتى الآن ، وكأنه بوسعنا أن نرى فى تأويل كالر إنعكاسا أميناً
لتصورات ديريدا ، لكننى أظن بأنه يقدمه لنا فى صورة أجمل وأسوأ ، فى نفس
الوقت ، عما هى عليه فى الواقع ، صورته فهو يعرض الصورة الأجمل بتركه
جانبا العديد من المظاهر التى لا يمكن احتمالها فى فلسفته أو يلجأ إلى تنميقها . إنه
لا يشفى غيلا حين يتحدث - مثلا - عن التفكير الذى يقيمه ديريدا للفكرة المتعلقة
بإمكانية تمثيل النص - أحيانا - للعالم الواقعى . كذلك الأمر حين يتطرق للإثبات
الديريدى الذى بمقتضاه يصبح كل ماهو خارج النص معدوم " لا يوجد ماهو خارج

النص ، فهذه الفكرة كما لاحظت مرتبطة باقتناعه أن الكلام يعود - فى الواقع - إلى الكتابة . وعليه فإن الصورة التى تتكون لنا عن ديريدا من خلال كل ذلك . تضعه فى مستوى من السطحية أشد حدة مما هو عليه حقيقة . إنها تجعل منه المحرك القابع خلف العديد من الكشوفات فى معالجة النصوص . لكن " كالر " - على ما يبدو - لم يتمكن من استيعاب المشاكل فى عمقها الفعلى ، مثلما يراها ديريدا. بقدر ما يبدو أنه لم يع بأن ديريدا كان بصدد الإجابة عن كثير من الطروحات النوعية الخاصة بـ " هوسرل " ، مثلما لم يع بأن الأسلحة المستعملة لهذه الغاية مستمدة من " هيدغر " فى كثير من جوانبها . إن كالر لم يحل بتاتا - فى فهرسته - على " هوسرل " . اللهم إحالة واحدة على هيدغر . فلدى اعتقاد راسخ بأن مؤلف ديريدا - وعلى الأقل - الأجزاء التى قرأها ، غير قابلة للإختزال فى سلسلة من المهارات والتشوشات . فصاحبه يتصدى لمسألة هامة غير أنه يرتكب فى الوقت نفسه خطأ على نفس القدر من الأهمية . إن التقليد الفلسفى بسوء من ديكارت وصولا إلى هوسرل ، فضلا عن جزء غير يسير من هذا التقليد الذى ينحدر إلى أفلاطون . يتمثل لنا باعتباره بحثا عن الأسس سواء تعلق الأمر بالأسس اليقينية ميتافيزيقيا للفكر ، أو بأسس اللغة والمعنى أو بأسس الرياضيات ، والأخلاق وغيرها .

إن هوسرل ، فى بحثه عن مثل هذه الأسس كان يلجأ لاختبار مضمون تجربته الواعية ، معلقا أو جاعلا بين قوسين مسلمة الإحالة إلى العالم الخارجى . لكن فى القرن العشرين وتحت تأثير فتجنشتين وهيدغر أساسا ، ترسخ ، والحالة هذه ، الإقتناع بأن الثمن الممنوح لبحث شامل عن أسس من هذا القبيل ، هو تضليلنا . لأنه لا الأخلاق ولا المعرفة تمتلك أسسا ، بالمعنى الذى تفترضه الميتافيزيقا الكلاسيكية . فنحن لانمتلك سلطة تأسيس اللغة والمعرفة ، بالمعنى التقليدى لهذه السلطة ، إرتكازا على المعانى الإخبارية لأن " معانينا الإخبارية مشبعة قبلا باستعمالنا اللسانية والاجتماعية . فلقد كان ديريدا مصيبا لما اعتبر بأن أسسا من هذا القبيل منعدمة . لكن ، يعود ليرتكب الخطأ الذى يجعل منه مجرد فيلسوف ميتافيزيقى تقليدى . ذلك لأن الخطأ الفادح للميتافيزيقى التقليدى لا يكمن فى اعتقاده بوجود أسس ميتافيزيقية . بل فى اعتقاده بلزوم مثل هذه الأسس ، بشكل أو بآخر . وأن شيئا ما سيضيع بغيابها أو سيكون مهددا أو موضع تساؤل وشك . فهذا

الإعتقاد هو ما يتقاسمه ديريدا مع التقليد الذى يحاول تفكيكه ، صحيح إن ديريدا مقتنع بأن مشروع هوسرل فيما يخص التأسيس المتعالى للعلم واللغة وللمعنى المشترك فاشل، لكن مالم يتوصل إلى إدراكه هو أن هذا الإخفاق لا يهدد عالم العلم ولا اللغة ولا المعنى المشترك فى شئ . وعلى حد تعبير " فتجنشتين " كل شئ ظل على حاله تماما ، وأن الأساس الوحيد ، الذى هو خالص للغة أو تتطلبه اللغة ذاتها، هو الفعل الذى يجعل الناس ، بيولوجيا ونفسيا واجتماعيا ، مكونين بطريقة يتوصلون ، باستعمال اللغة ، إلى إثبات حقائق وإعطاء أو تلقى أوامر وتبادل الشكر والمدح والتهانى ، وغيرها .

يبدو لى التفكيك ، أحيانا ، ضرب من اللعب بوسع أى كائن أن يمارسه ، لنخترع ، على سبيل المثال ، تفكيكا للتفكيكية . هلم على درب ترابنية الأضداد ، بإمكاننا أننذ أن نجعل مقابل التفكيك / التمرکز العقلى (التمرکز الصوت عقلى قضيبى) ، تاسيسا عليه سيكون لفظ " التفكيك " صاحب الإمتياز تابعا - فى الحقيقة - للفظ الفاقد قيمته / أى التمرکز العقلى . إن التفكيكى يسعى إلى تكريس السمو التراتبى للتفكيك . ولهذا فهو ملزم بإثبات سموه وتفوقه الخلاقى ، متوسلا فى ذلك إلى وسائل فى البرهنة والإقناع ، أى باللجوء إلى قيم التمرکز العقلى التى يتطلع إلى إسقاطها . غير أن المجهودات التى يبذلها لهذه الغاية آيلة للفشل ، بسبب من التبعية الحقيقية التى تضعه - بشكل مرجعية ذاتية - تحت سطوة منطق أصم ، وتحت تأثير نزعة شكية Aufhebung aporetique يتداعى التفكيك ذاته للتفكيك .

(٥)

تدفعنا المسألة الأخيرة إلى أن نفترض بأن التفكيك مصاب بفقر فكرى واضح وبديهى . غير أن هذا الفقر لا يبدو بدهيا بشكل مقبول إلا للقراء الفطنين الذين تتكشف عورة الإمبراطور أمام أعينهم . فماذا حصل حتى يمارس (التفكيك)^(١) هذا القدر من التأثير على منظرى الأدب ؟ لندقق أكثر فى معنى هذا السؤال ، إذا اسعفت العبارة ، فنحن نعيش العصر الذهبى لفلسفة اللغة^(٢) وهو ليس حكرا على كبار الأعلام من الذين قضوا ، من مثل " فريجىة " و " راسل " و "

فتجنشتين " ، وإنما هو كذلك عصر " تشومسكى " و " كواين " و " أوستين " و " ترسكى " و " كرايس " و " دميت " و " دفدسن " و " بوتتم " و " كرايك " و " ستر اوسن " و " مومطغيو " وعشرات المؤلفين من المقام الرفيع ، إنه عصر النحو التوليدي ونظرية الأفعال اللغوية وعلم الدلالات المطابقة والعوالم الممكنة . فمن غير شك ، تتضمن هذه النظريات ، بشكل أو بآخر أخطاء ، وتكشف عن معاليب . وأنها نظريات مؤقتة . ومع ذلك ، فهي تتمتع بمرتبة أرقى بكثير مما هي عليه فلسفات التفكير من حيث الوضوح والصرامة والدقة ومجال التطبيق . وفوق كل ذلك من حيث المضمون الفكرى الذى يميزها ، فمن أين تستمد التفكيرية شعبيتها وتأثيرها فى منظرى الأدب ؟ وكيف يعقل أن يتحول هذا الفقر الفكرى الحقيقى إلى مصدر شعبية من هذا القبيل ، إذا افترضنا أننا راغبون فعلا فى فهم هذه الظاهرة . سيكون من اللازم التزود بمعارف عن ثقافة شُعب الإنجليزية وشُعب اللغة العصرية للجامعات الأمريكية أكثر مما أنا مزود به من معارف عنها ، ومع ذلك لاحظت أنه من بين المظاهر المتعددة للإيديولوجية التفكيرية ، وجود الكثير منها فى تطابق مع المسلمات التى تنشط عددا لا بأس به من المحاولات التى تشغل على نظرية الأدب حاليا .

حصل ذات مرة أن قمت بمدخلة فى منتدى للنقد الأدبى وجدت نفسى على إثرها ، لحظتُذ أواجه مسلمتين فلسفيتين متغلغلتين فى النقاش الذى كان دائرا حول نظرية الأدب - كلاًهما منحدرتين بشكل غريب من الوضعية المنطقية - فى المقام الأول نقول : إن الافتراض الذى يقضى بإقامة التمييز على أساس من الصرامة والدقة ، وما لم يتحقق هذا الشرط ، يصبح التمييز غير ذى موضوع . نلاحظ بصدده ، أن العديد من نقاد الأدب لا يقبلون - مثلا - مطالبتنا بضرورة توفر نظرية التخيل على معيار واضح يكون بمثابة خط فاصل ، يحدد ماهو متخيل وما هو غير متخيل . بالتالى يعتبرون اعتراضنا على غياب هذا التحديد اعتراض غير مقبول ، مثمنا لاجوز لنا الإعتراض على انعدام تحديد دقيق بين ماهو استعارى وما هو غير استعارى ، رغم ما يترتب عن ذلك من نتائج .

إن شرط الملائمة فى كل نظرية دقيقة تعالج ظاهرة غير محددة يقتضى أن تخصص هذه الظاهرة على أنها غير محددة ، فأن يقوم التمييز على عائلة من

الحالات المتباعدة والمقاربة والهامشية ، لا يمت للتمييز بصلة . ومن كان يعتقد ، بأنه لا يلزم التمييز - لكى يكون حقيقيا - شرط الصرامة ، ماعليه إلا أن يلتحق بديريدا ، وبالمشروع الذى يقضى بنسف كل التمييزات ، من هذا النوع . إن كالر يشاطرهم - فى العمق - هذه القناعة . فهو يزعم ، بأن تعبيرا ما وفى قول ما لا يمكن أن يكون هذا التعبير نفسه " مستعملا " و " ممثلا " به ، فى نفس الوقت . لأن ذلك من شأنه أن يضعف - بشكل ما التمييز الذى يقيمه الفلاسفة والمناطق ، بين الإستعمال والتمثيل (ص ١١٩ ، ١٢٠) . بنفس العقاية ، يفترض بأنه ، إذا عبرت جملة ما عن فعل لغوى واع فى جنس معين وعن فعل لغوى لاشعورى فى جنس آخر ، فذلك من شأنه أن يثير مشكلة حقيقية بالنسبة لنظرية الأفعال اللغوية (ص ١٢٤) . كما يفترض أيضا - وعن خطأ - بأن نظرية الأفعال اللغوية تسعى إلى إقامة شكل من التمييز الدقيق بين ما يحدد الوعد مما هو غير وعد (ص ١٣٧) . لكن هذا راجع - فى الحقيقة - إلى مستتبعات النظرية التى تقضى بإمكانية وجود أنواع مختلفة من الحالات الهامشية فى كنف كل عائلة من الأفعال اللغوية . كما هو الحال فى الحياة الواقعية . هناك اعتقاد ثان راسخ ووضعى للغاية . يقضى بأن تكون المفاهيم التى تطبق على اللغة والأدب ، تستند إلى إجراء آلى فى التحقق . لكى تكون بالفعل سليمة . كذلك الأمر عندما نباشر تحديد دور القصد فى اللغة ، فكثير هم أولئك النقاد الذين يطالبون - على وجه الإستعجال - بمعيار آلى يسمح بضممان حضور المقاصد ومضمونها . لكن مثل هذه المعايير لا وجود لها بالتأكيد . إذ كيف سيتأتى لنا معرفة مقاصد شخص ما ؟ سيكون الجواب أن نستأنس بكل الطرق ، مع استحضار ما قد ينجم عن ذلك من انحراف عن الطريق السليم ، لأن مسلك البحث عن المقاصد غير مأمون ولو فى الحالات التى تبدو ظاهريا - مشجعة . غير أنه إذا كانت تعوزنا الإجراءات الآلية الكفيلة بتحديد مقاصد كاتب ، أو التى تسمح بتحديد الحالة التى يكون فيها العمل متخيلا أم لا ، وتلك التى تكون فيها العبارة مستعملة على وجه الإستعارة ، فذاك العوز ليس من شأنه أن يحفز أو يحرض على نفس مفاهيم القصد والتخييل والإستعارة . إن الإستعمالات التى نقوم بها لهذه المفاهيم وللتمييزات التى نجريها بين القصدى وغير القصدى وبين الحرفى والإستعارى وبين الحالة التى يكون الخطاب فيها متخيلا وغير متخييل . كل تلك الإستعمالات ترتكز على شبكة من التطبيقات

المعقدة : لسانية واجتماعية ، فهي لا تتطلب ولا تقبل - عموما - وجود رابط داخلى صارم ، أكثر مايسمح استعمال المناهج الآلية البسيطة بضمان الحضور أو الغياب لظاهرة ما . وعليه ، فإن الوضعية الأولية التى أنا منهمك فى نقدها ، تتوحد مع الافتراض الديرى الذى بموجبه - فى غياب الأسس المطلوبة -بقى منذورين لحرية لعب الدوال .

هذا ، وناهيك عن مفاتن أولية أخرى تتضمنها الفلسفة التفكيرية . إن كل مهتم بالنصوص المتخيلة على وجه الإحتراف ، سيكون ، بالنسبة له ، مبعث سرور ظاهرى أن يعلم كون جميع النصوص ، مهما يكن من أمر ، تنتمى للمتخيل فى الحقيقة . وأن التبخيس الظاهرى للمتخيل ، بما هو متعارض مع الفلسفة والعلم ، يمكن تفكيكه باعتباره من استباقات التمرکز العقلى . فضلا عن ذلك ، سيبدو من المثير بشكل إيجابى بالنسبة لذاك المهتم أن يعلم بأن مانصطلح عليه بـ " الواقع " يتم اختزاله فى النصية . بل وستوجد حياته فيها قسرا ميسرة ، بشكل يتجاوز بكثير سعة خياله ، مادام الإنشغال - فى هذه الفرضية - قد أصبح غير ذى جدوى ، سواء كان انشغالا بمقاصد الكاتب أم بما يعنيه نص ما على وجه التدقيق أو بما يميز الإستعارى عن الحرفى داخل نص ما . وحتى مايميز النصوص عن العالم فمن الآن فصاعدا لاوجود سوى للعب الدوال الحر . وأن الحد الأقصى - على مايبود لى - والإختزال العبثى ad absurdum لهذا " الشعور بالسيطرة " الذى تفضى إليه التفكيرية ، يكمن فى إثبات جيوفرى هارتمان ، القاضى بأن يكون الناقد - من الآن فصاعدا - وليس الفنان - هو من تعود إليه المهمة الأولى فى الإبداع .

هوامش الترجمة :

١ - ليس من المحذور التفكير بأنه إذا كان ديريذا وكالر ينكبان على قواء شاذة لملاحظات أفلاطون وارسطو حول علاقة الكلام بالكتابة غاية في الشذوذ ، فذلك راجع لكونهما لا يأخذان في الحسبان بأن الإغريق في العصور القديمة كانوا يقرأون دائما بصوت مسموع وأن ممارستنا للقراءة الصامتة ظلت مجهولة بل "شئ نادر " عندهم إلى حدود العصور الوسطى ذكره :

٢ - حول مسألة الصدق يريد كالر اللعب على كلا الجدولين حيث يعلن بأن الحقيقة ضرب من الخيال (ص ١٨) وأن " الحقيقة هي في أن ما يمكن البرهنة عليه في إطار معين . وهذا ما تمثله الحالة ذاتها ببساطة ، أى هل يوجد أم لا من نوثق به ومن نصدقه (ص ١٥٤) ، فالفقرة المكتوبة بخط مميز لا تتطابق مع فكرة الحقيقة باعتبارها خيالا ، بقدر ما لا تنتمي إلى الروح التفكيكية .